الفصل الرابع

النفوذ الإسلامي في جزر البحر المتوسط

جزر حوض البحر الأبيض الشرقي : قبرص ـ رودس ـ أرواد ـ كريت وبعض جزر بحر ايجه . جزر حوض البحر الأبيض الاوسط :صقلية أكبر جزائر البحر الأبيض ـ أهميتها ـ الحاح المسلمين عليها .

بالرمو عاصمة للاملاك الاسلامية بها (٨٣١) ـ اتمام فتح الجزيرة (٨٧٨). جزيرة قوصرة ولواحقها ـ مالطة ولواحقها. جزائر حوض البحر الأبيض الغربي : جزر البليار ـ جزيرتا سردانية وقورسيقة .

موضوع هذا الفصل يقع فى ثلاثة أقسام : القسم الأول : ويشمل جزائر حوض البحر الأبيض الشرقى ، وهى قبرص ورودس وأراود وجزائر بحر إيجه ، ويشمل القسم الثانى جزائر حوض البحر الأبيض الأوسط ، وهى صقيلة وقوصرة ولواحقها ومالطة ولواحقها . أما الحوض الغربى للبحر الأبيض فيشمل جزر البليار وجزيرتى سردانية وقورسيقة ، أما الجزر الصغيرة المتناثرة حول ساحل فرنسا الجنوبى وساحل إيطاليا الغربى ، فمكانها مع فرنسا وإيطاليا .

* * *

وتعتبر جزيرة قبرص أولى جزائر البحر المتوسط التى تطلع إليها المسلمون منذ قامت بحريتهم أواخر القرن السابع الميلادى ، ويعتبر معاوية ابن أبى سفيان (ت ٦٠ هـ / ٦٨٠ م) ، أول من غزا فى البحر من المسلمين الأولين ، زمن الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥ هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦ م) ، وقد وافق عثمان على غزو جزيرة قبرص فى عام ٢٨ هـ / ٦٤٨ م بينما كان عمر بن الخطاب قد رفض من قبل ركوب البحر (١)

وقبرص جزيرة هامة من حيث الموقع لتأمين فتوح المسلمين فى الشام وأفريقية ، ثم إنها محطة بحرية هامة للتجارة والملاحة ، فضلا عن ثروتها .

---

(١) راجع الفصل الثالث

جاءت أول غزوة إسلامية لقبرص عام ٢٨ هـ ، وانتزعها المسلمون من السيادة البيزنطية ، وصالح معاوية أهلها على جزية يؤدونها سنويا ، ومقدارها سبعة آلاف دينار ، ويقال إن معاوية لحسن سياسته وفرط دهائه ، وافق على أن يؤدى أهل الجزيرة مثل هذه الجزية إلى الروم ، وإمبراطورهم المعاصر يومئذ هو قنسطانز الثانى (٦٤١ - ٦٦٨ م) ، كذلك اشترط معاوية على القبارصة ، ألا يقوموا بغزو المسلمين ، وعليهم ، كما يقول الطبرى « أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم » وشمل العهد الذى أعطاه معاوية لأهل قبرص كذلك ، على « أن يبطرق إمام المسلمين عليهم منهم »(١) وعلى ألا يتزوج أهل قبرص فى «عدونا من الروم إلا بإذننا » (٢)

على أن السيادة الإسلامية لم تثبت على قبرص ، فتكررت غزوات المسلمين لها ، من ذلك غزوة معاوية لها فى عام ٣٣ هـ / ٦٥٣ م ، فى خمسمائة مركب ، ونجحت كما نجحت الغزوة الأولى ، وأنزل معاوية بها اثنى عشر ألف مسلم ، كلهم أهل ديوان ، أى من مستحق العطاء بديوان الجيش ، كما ابتنى فيها المساجد ، وهجر إليها جماعة من بعلبك ، واشترك أهل مصر فى هذه الغزوة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، إذ كان إليه أمر البحر(٣) ولم تنقطع غزوات المسلمين لهذه الجزيرة خلال العهد الأموى والعباسى .

---

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ ٥ ص ٥١ ـ ٥٣

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ ٥ ص ٥٤

(٣) البلاذرى ق ١ ص ١٨١ — ١٨٣ : ابن الأثير جـ ٣ ص ٣٩ ـ ٤٠ : رحلات الفتوحات الإسلامية ص ١٥١ ـ ١٥٢

فخرجت غزوات : ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م ، ١٥٨ هـ / ٧٧٥م، ١٧٤هـ، ٧٩٠ م ، ١٩٠ هـ /٨٠٦ م وهكذا .

ولم تكن معاملة المسلمين لأهل قبرص إلا بناء عن مشورة الفقهاء والأئمة ، بدليل ماحدث خلال العصر العباسى زمن الخليفة أبى جعفر المنصور عندما ثار القبارصة ونقضوا شروط الصلح القديم ، فاستشير فى أمرهم كبار الأئمة فى ذلك الوقت ، منهم مالك بن أنس والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة وموسى بن أعين وإسماعيل بن عباس ويحيى بن حمزة وإسحاق الفزارى وغيرهم(١) ، وعلق بعض الصحابة على موقف القبارصة بقوله « ما وفى لنا أهل قبرص قط » (٢)

ورغم حرص المسلمين على المحافظة على العهد الذى أعطوه لأهل قبرص، فإن قبضة المسلمين على الجزيرة لم تثبت ، ومن ثم تداولت السيادة عليها بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية ، حتى استولى عليها ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وهو فى طريقه إلى الشام خلال الحملة الصليبية الثالثة عام ١١٩٦ م . وكانت فى ذلك الوقت خاضعة لأمير بيزنطى استقل بها عن بيزنطة، ثم آل أمر الجزيرة إلى الفارس الفرنسى جى لوزينان Guy de Lusignan ملك بيت المقدس الصليبية ، وقامت أسرة لوزينان الصليبية فى قبرص حتى استولى عليها السلطان برسباى سلطان الجراكسة فى مصر بعد ثلاث

---

(١) البلاذرى ص ١٨٣ — ١٨٦

(٢) البلاذرى ص ١٨٦

حملات(١٤٢٤ - ١٤٢٥ م١٤٢٦م) ، وأسر ملكها جانوس ، وظلت قبرص خاضعة لمصر ، وتدفع لها الجزية حتى نهاية عصر المماليك(١) .

أما جزيرة رودس ، فتعد من أخصب جزر البحر الأبيض الشرقى وقد بدأ غزو المسلمين لها فى عام ٢٨هـ / ٦٤٨م ، وفى الحملة التى شنها المسلمون عليها عام ٣٢هـ /٦٥٢م ، غنم المسلمون منها كثيراً . ومن بين مغانمهم أنقاض تحاسية لإله الشمس هليوس ، كان عند ميناء رودس ، وسقط بفعل الزلازل(٢) .

وفى عام ٥٣هـ / ٦٧٣ م أرسل الخليفة معاوية بن أبى سفيان حملة بقيادة جنادة بن أبى أمية الأزدى ، ففتحها عنوة ، وأنزلها قوما من المسلمين ، استقروا بها نحو سبع سنوات ، استثمروا خلالها أرضها الخصبة فزرعوها واتخذوا أموالا ومواشى يرعونها حولها. فإذا أمسوا أدخلوها الحصن ، ولهم ناطور (٣) يحذرهم ما فى البحر ممن يريدهم بكيد ، فكانوا على حذر منهم ، وكانوا أشد شىء على الروم ، فيعترضونهم فى البحر . فيقطعون سفنهم ، وكان معاوية يدير لهم الأرزاق والعطاء ، وكان العدو قد خافهم(٤) .

---

(١) مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة (المؤلف) ص ٩٥ ـ ٩٧ ، ١٠٢ـ١٠٥ ، عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٠ ـ ٢٠

(٢) أرشيبالد لويس ص ١٩١ ، ١٤٦ ، انظر الفصل الثانى من كتاب «دراسات إسلامية » لطائفة من المستشرقين الأمريكيين (ترجم إلى العربية بإشراف دكتور نقولا زيادة) ص ٢٥ ـ ٨٤ .

(٣) الناطور اصطلاح أطلق على متولى الحراسة ، واشتهر فى عصر السلاطين المماليك فى مصر على من يقوم بحراسة الملابس فى الحمامات .

(٤) الطبرى جـ ٦ ص ١٦١ ، ابن الأثير جـ ٣ ص ٢١١

غير أن يزيد بن معاوية (٦٠ — ٦٣ هـ / ٦٨٠ — ٦٨٣ م) ، سمح للمسلمين المقيمين برودس ، بالعودة خوفا عليهم من خطر الروادسة والإمبراطورية البيزنطية(١) ، ولكن غزوات المسلمين لم تنقطع عنها ، وتداولت السيادة عليها الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية ، من ذلك أن مسلمة بن عبد الملك استولى عليها وهو فى طريقه لحصار القسطنطينية عام ٧١٧ م ، وهو الحصار الذى انجلى عن قيام الأسرة الأيسورية فى العرش البيزنطى(٢) ، وبعد فشل الحصار ، أفلتت الجزيرة من يد المسلمين ، وفى مطلع القرن التاسع الميلادى ، حاول هرون الرشيد فتحها ، ولكنه لم يتمكن ، فظلت تابعة لبيزنطه(٣) ، حتى استولى عليها فرسان الاسبتارية Hospitalers الصليبيون ١٣٠٨ م(٤) ، وخلال سيادة الفرسان عليها ، جاءت محاولة السلاطين المماليك فى مصر زمن السلطان جتمق (٨٤٢-٨٥٧ هـ ، ١٤٣٨ — ١٤٥٣ م) ، ولكنهم لم ينجحوا فى الاستيلاء عليها(٥) ومن ثم ظلت رودس خاضعة للاستبارية حتى انتزعها العثمانيون عام ١٥٢٢ م .

---

(١) البلاذرى ق ١ ص ٢٧٨

(٢) زيادة : المحاولات العربية للاستيلاء على جزيرة رودس ص ١٩٥ ؛ الطبرى ج ٦ ص ١٦١ ، ١٧٩ ، ابن الأثير ج ٣ ص ٢١١ ، ج ٤ ص ٢ ، Vassilier A. A. Byzantin & Islam (Byzantin) pp. 309 - 310

(٣) زياده ص ١٩٥

(٤) مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٩٧-٩٨ ؛ Runciman, A History of the Crusades, Vol. III, pp. 489, 434 - 5

(٥) زيادة ص ١٩٦ - ٢٠٢ ، الجراكسة ص ١٠٥ ومايليها ، السيوطى : غزوات قبرص ورودس ص ١٤ - ١٥ ، التبر المسبوك ص ٦٢-٦٤ ، Lane Poole, A. History of Egypt in the Middle Ages, pp. 385 - 389

وهناك جزيرة صغيرة قرب القسطنطينية تعرف باسم جزيرة أرواد Aratus ، فتحها المسلمون بقيادة جنادة بن أبي أمية عام ٥٤ هـ / ٦٧٤ م ، واشترك معه في الفتح مجاهد المقرئ ، ولكن المسلمين لم يلبثوا أن جلوا عنها عندما عادوا من رودس(١) .

وبمثل الانتصارات التي اقترنت بالفتوح الإسلامية ، افتتح المسلمون جزيرة قريطش (كريت) عام ٥٥ هـ / ٦٧٣ م ، وذلك بقيادة جناده بن أبي أمية ، وتكرر الغزو زمن الوليد بن عبد الملك ، وفي عهد هرون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ / ٧٨٦ — ٨٠٩ م) تم فتح جزء كبير من الجزيرة بقيادة حميد بن معيوف الهمداني(٢) .

ولكن كريت لم تخضع كلها للسيادة الإسلامية إلا في مطلع القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي ، وذلك على يد الربضيين الذين ثاروا بالأندلس عام ١٨٩ هـ ، ٢٠٢ هـ ، زمن الحكم بن هشام الأموي (١٨٠ — ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ — ٨٢٢ م) ، فقد خرج أولئك الثائرون مهاجرين من الأندلس بقيادة أبي حفص عمر بن عيسى بن شعيب البلوطي(٣) ، وهو الذي اشتهر فيما بعد باسم الأقريطشي ، وبلغ عدد هؤلاء المهاجرين نحو خمسة عشر ألف رجل ، غير النساء والأطفال(٤)،وصلوا إلى الاسكندرية

---

(١) ابن الأثير ج ٣ ص ٢١٢ ، الطبري ج ٦ ص ١٦٤ ، البلاذري ص ٢٧٩

(٢) البلاذري ص ٢٧٩

(٣) البلوطي نسبة إلى فحص البلوط قرب قرطبة ، وهذا المكان هو المعروف حاليا باسم Los Pedroches ، والنسبة إلى هذه الضاحية بلوطي (انظر الروض المعطار ص ١٤٠–١٤٣)

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٥٧–١٥٨ ؛ مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١٣٧ ؛ Dozy, Op. Cit, t.I., P. 300, T. II, pp. 68-76

واستولوا عليها فترة من الزمن ، وكانت مصر وقتذاك مضطربة بسبب الفتنة بين الأمين والمأمون ، فلما استوى الأمر للمأمون ، أرسل عبدالله ابن طاهر واليا على مصر ، فحاصرهم وسهل لهم أمر الرحيل ، وأمدهم بالأموال ثم سيرهم إلى جزيرة كريت(١) .

استولى أبو حفص على أحد حصون الجزيرة عام ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م ، ولم يزل يفتح الحصون والبلاد ، حتى لم يبق بها من الروم أحد(٢) ، ثم وفد على الجزيرة نفر آخر من الأندلسيين وانضموا إلى إخوانهم ، ومن ثم أصبحت جزيرة كريت قاعدة للعمليات الحربية الإسلامية فى بحر إيجه وشواطئه . وقد روع أبوحفص شواطىء بيزنطة، وأشارت إليه المراجع البيزنطية باسم Apocapso ، وتكررت الغزوات من الجانبين الإسلامى والبيزنطى .

اتخذ المسلمون فى كريت قاعدة لهم عند موضع بلد قديم على خليج لادا Lada قرب رأس خراكس Charax ، وحفر حوله خندق، ثم عرف هذا المكان كله بالخندق ، وفيه نشأت المدينة المعروفة باسم كانديا Candia وهى تحريف لكلمة الخندق(٣).وفى جزيرة كريت أقام المسلمون دولة أو إمارة إسلامية عرفت باسم الدولة الكلبية،عمرت أكثر من قرن (٨٢٧—٩٦١م)

---

(١) العبادى ص ٩٣–٩٥ ، البيان المغرب ج ٢ ص ١٠٦ . ١١٣ – ١١٤ ، ابن الخطيب ص ١٥ – ١٦ ، نفح الطيب ج ١ ص ١٥٩ ، ابن الأثير ج ٦ ص ١١٠ – ١١١

(٢) البلاذرى ص ٢٧٩

(٣) مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض ص ١٣٧– ١٣٨

وأمراء هذه الدولة هم : أبو حفص عمر مؤسسها (ت ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) وابنه من بعده وهو شعيب بن عمر ، ثم حفيده عبد العزيز بن شعيب بن عمر المعروف بالغليظ، وتوفى هذا الأمير بالقسطنطينية، وخضع ابنه اينماس Anemas فى خدمة اليزنطيين (٣٤٩ — ٣٥٠ هـ / ٩٦٠ — ٩٦١ م)(١) أى زمن الأسرة المقدونية الحاكمة فى بيزنطة .

وخلال إقامة المسلمين فى أقريطش ، لم تنقطع الحروب بينهم وبين بيزنطة ، ورد المسلمون على هجمات بيزنطة ، بغزو ساحل تراقيا وجزر السيكلاديز Cyclades فى بحر إيجه، ودمروا أسطولا بيزنطيا عام ٢٢٦ هـ / ٨٣٩م) قرب جزيرة تاسوس Thasos ولما كان مسلمو كريت على تحالف وثيق مع مصر الإسلامية ، فقد هاجمت بيزنطه دمياط عام ٢٣٩ هـ ، ٨٥٣ م .

وذلك زمن ولاية عنبسة بن إسحاق على مصر (٢) من قبل الخليفة المتوكل العباسى. ونهبوها وسبوا وخربوا ، ثم عادوا مسرعين . وتكررت غارة الروم عام ٢٤٥ هـ ٨٥٩ م فى ولاية يزيد بن عبد الله (٢٤٢ — ٢٥٣ هـ / ٨٥٦ — ٨٦٧م) (٣) .

واتخذ المسلمون قواعد لهم فى جزر بحر إيجه مثل جزيرة نيون قرب شبه جزيرة خالسيدس Chalcidice ، وتحكموا فى كثير من هذه الجزر مثل ناكوس Nakos وباتموس Batmos وباروس Baros وإريجينا Aegina

---

(١) زامباور ج ١ ص ١٠٩

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٩٢ ، ٢٩٤ـ٢٩٥

(٣) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٠٨ـ٣٠٩

وساموس Samos ، وربما كانت لهم قاعدة فى أثينا نفسها. ووصلت سفنهم إلى بحر مرمرة عام ٢٨٩ هـ/٩٠١م ، وفى عام ٢٩٢هـ/٩٠٤ م هاجم المسلمون سالونيكا وأسروا نحو ٢٢ ألفاً من أهلها ، وفشل أسطول الإمبراطور ليو السادس الملقب بالرشيد (٨٨٦—٩١٢م) الذى أرسله إلى جزيرة أقريطش عام ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م ، وعلى ذلك ظلت مدينة الخندق مركز تهديد للنفوذ البيزنطى فى بحر إيجه ، وفى زمن الإمبراطور رومانوس ليكابنوس R. Lecapenos فشل أسطول بيزنطى آخر أرسله عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م(١) .

ومن حيث جزائر حوض البحر الأبيض الأوسط فأهمها : صقليه (سقلية) Sicilia ، وهى فى الواقع أكبر جزائر البحر الأبيض ، وتشتهر بخصوصيتها . فضلا عن حسن موقعها . لصلتها بأفريقيا الشمالية من ناحية وإيطاليا الجنوبية من ناحية أخرى ، وهذا الموقع أهميته الكبرى من الناحية التجارية والحضارية ، فقد سهل الاتصال بالشعوب ذوات الحضارة على شواطئ ذلك البحر منذ القدم ، بل إن صقلية والجزء الجنوبى من إيطاليا ، كانا يعرفان معاً فى العصر الكلاسيكى باسم «بلاد الإغريق العظمى Magna Gracia ، وذلك خلال القرن الرابع قبل الميلاد ، بسبب سيادة الحضارة الهلينية بهما (٢) ، وكان الفنيقيون قديماً قد امتلكوها قبل الإغريق.

وفى العصر المسيحى ، كانت جزيرة صقلية من المعاقل التى اعتمدت

---

(١) أرشيبالد لويس ص ٢١٤ ، ٢٢٤ ، C. Med. Hist., Vol. IV, pp. 141-2

(٢) Bury, History of Greece pp. 623-60 679-80

عليها البابوية ، وفى فجر الفتوح الإسلامية ، كانت السيادة البيزنطية على صقلية ، قد تدهورت نتيجة للغزوات اللومباردية التى اجتاحت إيطاليا خلال النصف الثانى من القرن السادس الميلادى ، عقب الجهود المضنية التى بذلها الإمبراطور حسليان (ت ٠ ٥٦٥م)(١) .

بدأ الغزو الإسلامى لجزيرة صقلية عام ٥٣٦/٦٥٦م ، حين خرجت حملة مكونة من مائتى سفينة ، من شواطىء سوريا ، وهذه أول حملة إسلامية ، وتقول الرواية العربية إن أول من غزاها عبدالله بن قيس الفزارى من قبل معاوية بن حديج الكندى والى مصر وأفريقيا ، فأصاب أصناماً من ذهب وفضة ، مطلية بالجواهر ، ولما بعث بها إلى معاوية بن أبى سفيان والى الشام يومئذ ، وجهها إلى البصرة لتحمل إلى الهند لتباع هناك ، لأنه رأى بيعها وهى قائمة أكثر لثمنها ، ولم يبال معاوية بانتقاد المسلمين، وأخرج الخمس من الغنائم وبعث به إلى الخليفة عثمان بن عفان ، وكتب له بسلامة المسلمين من هذه الغزوة (٢) .

استمر الغزو الإسلامى لجزيرة صقلية ، وكان مسلمو أفريقيا ، هم الذين تولوا أمر الغزو بحكم موقعهم الجغرافى ، وأكثر هؤلاء الغزاة من البربر الذين تعربوا ، لما كان من قلة العرب فى ذلك الدور ، والبربر أشد الشعوب التى اعتنقت الإسلام ، بأساً (٣).

---

(١) فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى (ق١ ترجمة زيادة والباز) ص ٥٠ـ٥٢ ، وفى النسخة الإنجليزية (Book I pp 131 132) Scott Vol II

p p 1-8 Waern C Medieval Siciby PP · 7 -10

(٢) البيان المغرب جـ ١ ص ١٢ ؛ البلاذرى ص ٢٧٨ ، كرد على : الإسلام والحضارة العربية جـ ١ ص ٢٧٣ ، Encycl Britt Scott II p. g

(٣) أرشيبالد لويس ص ٩١ ، لوبون حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر) ص ٣٠٢

فغزاها عباس بن أخيل من رجال موسى بن نصير ومحمد بن يزيد الأنصارى والى أفريقية (٩٧-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م)(١). وبعد عام ١٣٠هـ/٧٤٧م قام عبد الرحمن بن حبيب الفهرى والى أفريقية زمن المنصور وغزا صقلية عام ١٣٥هـ/٧٥٢م ، وتكرر الغزو عام ١٤٦هـ/٧٦٣م(٢) .

على أن الأغالبة ، حكام أفريقية ، هم الذين قاموا بالنصيب الأكبر فى فتح الجزيرة ، وأكملوا فتحها ، وجد الأغالبة الأغلب بن سالم التميمى ثم السعدى ، ولاه الخليفة أبو جعفر المنصور على المغرب عام ١٤٨هـ/٧٦٥م ، وهو من ذوى الشجاعة والرأى ، ومن أصحاب أبى مسلم الخراسانى ، دخل الأغلب بلاد المغرب مع محمد بن الأشعث الخزاعى الذى ولاه المنصور مصر (٣) وعهد إليه بإخماد البربر بالمغرب فدخل المغرب سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م وأخمد الفتن واستقر بالقيروان وشرع فى بناء أسوارها . وكان معه الأغلب ، فعينه ابن الأشعث على طبنه والزاب وعاد ابن الأشعث عام ١٤٨هـ إلى المشرق فرأى المنصور أن الأغلب خير قائد يوليه المغرب فولاه فى ذلك العام والياً على المغرب وهو جد الأغالبة ملوك أفريقية من بعده وظل حتى قتل فى سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م خلال إخماد الفتن الداخلية بالمغرب .

---

(١) البيان جـ ١ ص ٤٤ — ٤٥

(٢) البيان جـ ١ ص ٦٥ — ٧٧

(٣) ولى محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعى ، مصر أواخر عام ١٤١ هـ / ٧٥٩م ، وعزل عن مصر أوائل سنة ١٤٣ هـ / ٧٦٠م (النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٤٦ — ٣٤٨)

والمؤسس الحقيقى لدولة الأغالبة فى أفريقية هو إبراهيم بن أبى العرب الأغلبى الذى ولاه الرشيد عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م(١) .

عقد إبراهيم الأغلبى (١٨٤ — ١٩٧هـ/ ٨٠٠ — ٨١٢م) هدنة ومعاهدة مع حاكم صقلية البيزنطى وهو البطريق قنسطنطين لمدة عشر سنوات ، ولكن هذه المعاهدة ، لم يطل أمرها بسبب اندفاع المسلمين وحماستهم للغزو والفتح ، فحدث فى عام ١٩٧هـ/٨١٢م أن هاجم المسلمون بعض الجزر التابعة لصقلية فأرسل الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الأول (٨١١ — ٨١٣م) أسطولا بحرياً بقيادة جريجورى، وساعدته المدن الإيطالية مثل جايتا Gaeta وأمالفى Amalfi،

---

(١) اشترط إبراهيم الأغلبى على الرشيد أن يكون مستقلا فى شئونه الداخلية وأن تتولى ذريته من بعده إمارة أفريقية بالوراثة ، وألا يدفع الإعانة التى كانت تدفعها أفريقية إلى مصر ، وقدرها مائة ألف دينار ، وأن يقوم ابراهيم الأغلبى بدفع ٤٠ ألف دينار سنويا للخليفة ، ووافق الرشيد بعد استشارة أولى الرأى ، ومنهم هرثمة بن أعين ؛ وكان أهل أفريقية قد طلبوا من الرشيد الموافقة على ولاية إبراهيم الأغلبى .

ويعتبر إبراهيم الأغلبى أول من جعل إمارة أفريقية وراثية فى العهد الإسلامى ، وخلفه أولاده الثلاثة من بعده: وهم أبو العباس عبد الله ثم أبو محمد زيادة الله ثم أبو عقال الأغلب السعدى ، وأهمهم ابنه زيادة الله وهو معاصر للخليفة عبد الله المأمون ، وزيادة الله هو الذى أسند قضاء أفريقية إلى أسد بن الفرات صاحب مالك ابن أنس ، وهو صاحب الأسدية فى الفقه على مذهب مالك ، وأسد هذا هو الذى قاد حملة لغزو صقلية عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧ م . وانتهت دولة الأغالبة فى أفريقية عام ٢٩٦ هـ/٩٠٩م، وذلك عندما دخل أبو عبد الله الشيعى ودعا للفاطميين ، واستولى على أفريقية ، وقد حكمت دولة الأغالبة أفريقية ١١١ سنة ، تولى الحكم خلالها أحد عشر أميرا أولهم إبراهيم بن الأغلب — باستثناء من سبقه — وآخرهم زيادة الله الثالث وكنيته أبو مضر .

(الاستقصا ص ٨٤ ، ١١٤ — ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٦٥ — ١٦٧ ، البيان جـ ١ ص ١١٦ — ١٦٦ ، ابن الأثير جـ ٦ ص ٥٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ؛ الزواوى ص ١٤٢ — ١٤٣ ؛ زامباور جـ ١ ص ١٠٥ — ١٠٦ ، Brockelmann P 150

غير أن المسلمين استطاعوا أن يستولوا على بعض سفن الأسطول قرب جزيرة لنبدوشه Lampedusa(١)، وقتلوا بحارتها ، فعاود البيزنطيون الكرة وانتصروا على المسلمين، مما أدى إلى تجديد الهدنة لمدة عشر سنوات أخرى من عام ٨١٣م ، ومع ذلك لم تطل هذه الهدنة كسابقتها (٢) .

فقد حدث فى عام ٢٠٤هـ/٨١٩م ، أن أرسل زيادة الله الأغلبى ثالث حكام الأغالبة فى أفريقية ، (٢٠١—٢٢٣هـ/٨١٧—٨٣٨م) أسطولا لغزو صقلية ، بقيادة ابن عمه(٣) .

وفى سنة ٨٢٥م ، قام مغامر فى صقلية اسمه يوفيوس Euphemius ، وتكتبه المراجع العربية فيمى ، وخرج على جريجورى Greogaras حاكم صقلية البيزنطى ، وفيمى هذا كان أمير البحر فى الأسطول البيزنطى المرابط فى صقلية ، علم أن الإمبراطور ميخائيل الثانى العمورى (٨٢٠—٨٢٩م) قد أمر بالقبض عليه وقتله ، فثار على حاكم صقلية وقتله ونصب نفسه حاكما على الجزيرة عام ٨٢٥ م ، وفى العام التالى جاءت قوة بيزنطية بقيادة قسطنطين للقضاء على الثائر ، غير أن فيمى تمكن من القضاء على هذه القوة فى قاطانيا Catania وقتل قسطنطين ، وجاءت قوة أخرى بقيادة أرمينى ، سماه العرب بلاطه Balatah ، فانتصر وهرب فيمى لاجئاً عند المسلمين فى أفريقية ، طالباً مساعدتهم (٤) .

---

(١) انظر مايلى

(٢) Cam Med Hist Vol IV P 134 Deanesly P 375

(٣) Brockelmann P 156 C Med .H .Op. Cit. P134

(٤) ابن الأثير ج ٦ ص ١٢٣—١٢٤ ، Scott H, PP.10-11.C. Med. H. Vol. IV PP. 134-5

أرسل زيادة الله بن الأغلب حملة من أفريقية بقيادة أسد بن الفرات ونزلت هذه الحملة فى مدينة مازر Mazzara فى ١٥ يونية ٨٢٧ م / ٢١٢ هـ وهزمت بلاطه الذى هرب إلى مدينة إنا Enna التى عرفت كذلك باسم مدينة قصريانه Castrogiavanni ومنها هرب إلى قلورية Calabria فى جنوبى إيطاليا حيث قتل بعد قليل . واستولى المسلمون على بعض الحصون . فطالب الصقليون بالأمان ودفع الجزية . ولكنهم تربصوا بالمسلمين الدوائر واستعدوا للوثوب عليهم . على أن أسد بن الفرات استمر فى فتوحه. وحاصر سرقوسه Syracuse وجاءته إمدادات من أفريقية وأسبانيا وهزم حامية بالرمو عام ٢١٣هـ/٨٢٨م، وقاسى العرب الكثير من الجوع والطواعين حتى أن ابن الفرات نفسه مات فى يوليو ٨٢٨م (١).

خلفه فى القيادة محمد بن أبى الجوارى ، وجاء أسطول بيزنطى بقيادة ثيودوتس Theodotus الذى عينه الإمبراطور بطريقاً على الجزيرة ، فتقهقر العرب نحو الشمال ورفعوا الحصار عن بالرمو ، لكنهم استولوا فى طريقهم على مدينة مينو مناو Mineo وحصن مدينة جرجنت Gregenti وحاصروا قصريانة مرة أخرى . وخلال هذه العمليات كان فيمى يساعد المسلمين ، غير أن مواطناً من قصريانة قام له وحياه باعتباره إمبراطوراً ثم اغتاله ، وفشل ثيودوتس فى مهمته ، فقد هزمه المسلمون كما هزموا أسطولا بندقياً جاء لمساعدة البيزنطيين(٢).

وبعد وفاة القائد الإسلامى محمد ، خلفه فى منصبه زهير بن غوث ،

---

(١) فى C. Med. H., Vol. IV P. 135 : Scott, II, G.

(٢) ابن الأثير ج ٦ ص ١٢٤ ; C. Med. H. Vol. IV P. 135

وفى تلك الفترة ، رجحت كفة المسيحيين ، ولكن بوصول إمداد إسلامية من أسبانيا بقيادة الأصبغ ، انتصر المسلمون على ثيودوتس وقتلوه ، ومات الأصبغ فى طاعون انتشر فى ذلك الوقت ، وكان الإمبراطور البيزنطى المعاصر هو ثيوفلس (٨٢٩ — ٨٤٢ م)(١) .

نجحت القوات الإسلامية بقيادة محمد بن عبد الله فى عام ٨٣١ م فى الاستيلاء على مدينة بالرمو ، عاصمة الجزيرة ، وساعدهم على ذلك انشغال ثيوفلس فى حروبه الشرقية ، واستسلمت بالرمو بشرط أن يترك قائد حاميتها وأسرته ، وتم ذلك فى سبتمبر من عام ٨٣١ م وصارت بالرمو عاصمة المسلمين(٢) .

غير أن الخلافات التى وقعت بين المسلمين الأسبان والمسلمين الأفريقيين قد أخرت إتمام فتح الجزيرة ، ورغم ذلك ، فلم تقف عمليات الغزو ، فغزا المسلمون سرقوسة ٨٣٥ م ، ولما جاء محمد أخو ابن الأغلب فى ذلك العام ، ليتولى حكم الجزيرة ، وليكمل فتحها ، اتخذ من بالرمو مركزاً لتوسعه ، واستولى على بعض السفن البيزنطية ، كما استولت قواته على سفينة بيزنطية قرب جزيرة قوصره(٣) . وتكرر الغزو ، وتأرجح النصر والهزيمة بين الجانبين .

وفى عام ٢٢٥ هـ (٨٣٩ م) أرسل أبو الأغلب ، حاكم أفريقية (٨٣٨ —

---

(١) ابن الأثير ج ٦ ص ١٢٥ ؛ C. Med. op. cit. P. 136

(٢) Waern Op. Cit. pp. 11-13 . Brockel. p. 150 . Scott. II p. 21

(٣) أنظر مايلى :

٨٥١ م) أمداداً جديدة ، أجبرت بعض المدن والحصون على دفع الجزية ، وهى: حسن البلوط Caltabellotto وأبلاطنبو Platani وقرلون Corleone وسوترا Sutera ، فاضطر الإمبراطور ثيوفاس إلى طلب المساعدة من الفرنجة ومن مسلمى الأندلس ، وأمده البنادقة بأسطول دمره الأسطول الإسلامى فى مياه طارانت Tarantum جنوبى إيطاليا . ويمكن القول إنه فى عام ٨٤٠ م كان المسلمون قد استولوا على نحو ثلث الجزيرة تقريباً[١] .

وفى الفترة ما بين ٨٤١ ، ٨٤٥ م استولى المسلمون على كالتا جيرونى Caltagironi ومسينا وموديكا Modica وبعض الحصون الجنوبية ، وكان أهالى نابلى يساعدون المسلمين ، بسبب الصراع بينهم وبين جيرانهم أدواق بنفنتم Beneventum[٢] .

وخلال الفترة من ٨٤٥ إلى ٨٥١ م استولى المسلمون على ليونتينى Leontini (٨٤٧ م) وراجوزه Ragusa (٨٤٨ م) ، بفضل شجاعة القائد الإسلامى الفضل بن جعفر[٣] .

ويعتبر عباس بن الفضل بن جعفر (٨٥١ — ٨٦١ م) الفاتح الحقيقى لجزيرة صقلية ، فقد خلف أباه فى قيادة القوات الإسلامية بها ، كما خلف أبا الأغلب فى حكم الجزيرة بعد وفاته . وذلك بانتخاب القادة المسلمين بالجزيرة لكفايته ، وهذا هو الاستثناء الوحيد فى حكام صقلية ، إذ كان

(١) Scott II p. 25 C. Med. II. p. 136 Brock. Op. Cit. p. 156

(٢) C. Med. II. p. 136

(٣) Ibid. p. 137

الأغالبة يخشون استقلال أحد الحكام بها ، مما جعلهم يحرصون على أن يكون الحاكم من أسرتهم . ووافق الأمير محمد الأغلبي فى أفريقية على ما تم بصقلية .

أرسل عباس بن الفضل القوات الإسلامية إلى مختلف جهات صقلية ، وكان يقود أغلبها ، فاستأنف الهجوم على إنا Enna عام ٨٥٢ م واتجه إلى الساحل الشرقى ٨٥٣ م وغزا قطانيا Catania ونوتو Noto وراجوزه Ragusa التى كان البيزنطيون قد استردوها من المسلمين لفترة ، وحاصر بويترا Butera لمدة خمسة شهور حتى سلمت ، وفى عام ٨٥٦ م استولى على خمسة حصون . وهاجم فى العام التالى تورمينا Taormina وسرقوسة . كما سلمت له مدينة كيفالو Cefalù فدمرها . وأخيراً استسلمت مدينة إنا (قصريانه) فى ٢٦ يناير ٨٥٩ م . واستولى على قلعتها التى ظلت تقاوم ثلاثين سنة . وأعدم حاميتها . وابتنى فيها مسجداً[١] .

وفشلت جهود بدراس Badras الوصى على العرش البيزنطى زمن الامبراطور ميخائيل الثالث السكير (٨٤٢ — ٨٦٧ م) آخر سلالة الأسرة العمورية[٢] . فقد قضى عباس على الأسطول الضخم الذى أرسله بدراس عند سرقوسة . كذلك أخضع عباس ثورات المدن الخاضعة للمسلمين . والتى كانت تمدها بيزنطة بالمساعدات[٣] .

---

(١) C. Med. H. P. 137

(٢) راجع قصة السفير الإسلامى يحيى الغزال وزيارة الإمبراطورة له هى وابنها ميخائيل ، وأصل تسميته بالسكير ؛ (فى الملاحق)

(٣) C. Med. H. p. 138

وتوفى عباس فى ١٥ أغسطس ٨٦١ م . وهو فى طريق عودته من إحدى غزواته لسرقوسة . ووقع خلاف بين المسلمين . وانتهز البيزنطيون الفرصة . فانتقموا بإخراج جثة عباس من قبره وأحرقوها .

تلا ذلك سقوط سرقوسة فى يد المسلمين فى ٢١ مارس ٨٧٨ م . بعد حصار دام تسعة شهور . وكان سقوطها كارثة كبرى لبيزنطة وسياستها الحربية . كما جاء نقطة تحول فى تاريخ العلاقات الخارجية للإمبراطور بازل المقدونى (٨٦٧ — ٨٨٦ م) مؤسس الأسرة المقدونية . إذ أثبت فشل هذه السياسة . وفشل الجهود الجبارة التى بذلها خلال السنوات الأربع الأولى من حكمه . لإعادة النفوذ البيزنطى على ساحل البحر الأدوريانى (١) .

وسقطت مدينة تاورامينا Taoraminium فى أول أغسطس ٩٠٢ م ، بفضل شجاعة إبراهيم الأغلبى ، وهذه المدينة آخر معقل بيزنطى فى صقلية وبسقوطها أضحت صقلية كلها تقريبا خاضعة للسيادة الإسلامية . حقيقة هناك بعض البلاد الصغيرة ، قليلة الأهمية التى لم تزل خاضعة لبيزنطة ، غير أن المسلمين لم يعيروها اهتماما كبيرا ، ومن هذه البلاد : دنونا Denona ورمتا Rametta فى شرقى الجزيرة ، وحتى الأخيرة هذه ، سقطت فى يد المسلمين عام ٩٦٥ م ، ودمر المسلمون القوة البيزنطية التى وصلت بقيادة ما نويل لمساعدتها(٢) .

---

(١) C. Med. II. p. 139 ; Brockel p 157

(٢) C. Med. II. pp 141 147

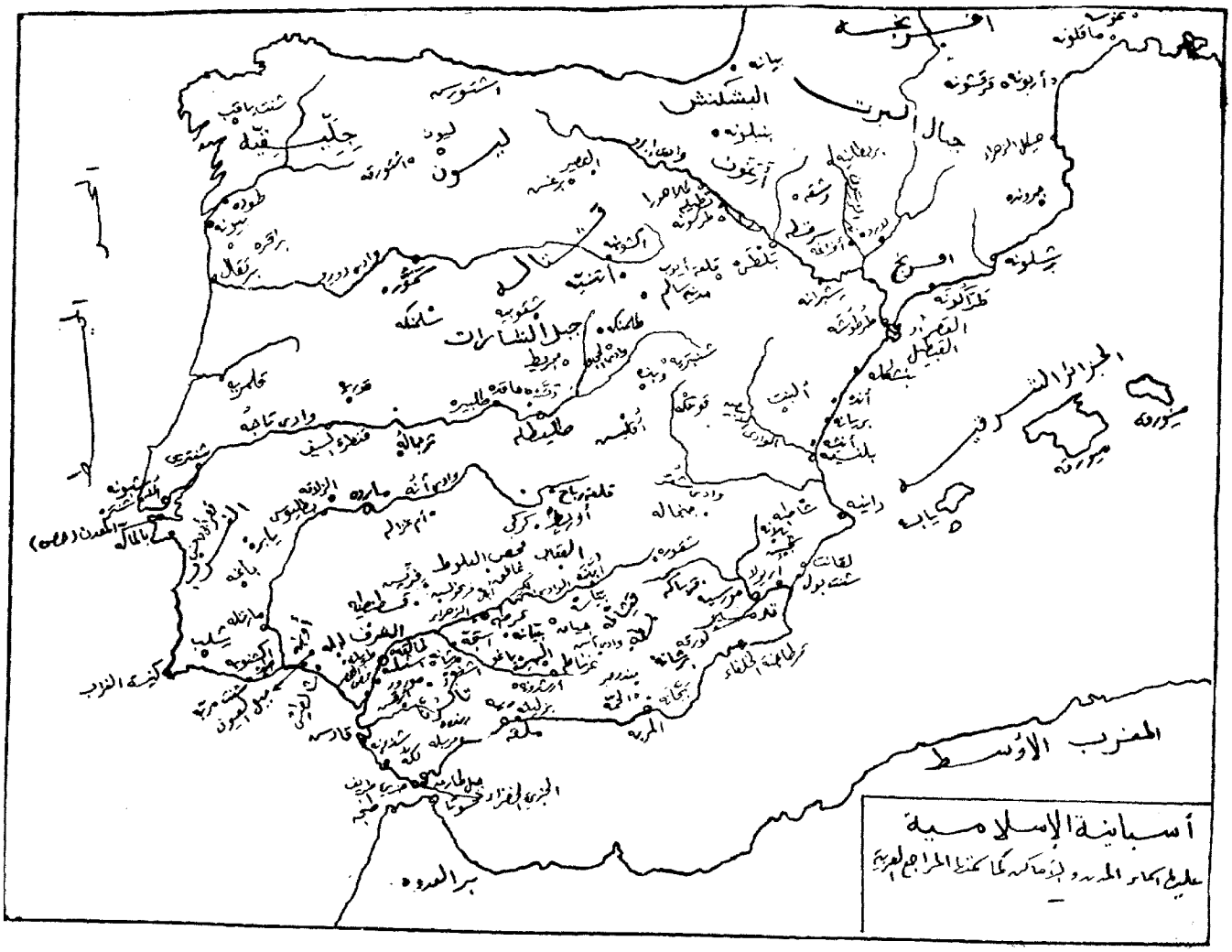
أسبانية الإسلامية
المغرب الأوسط
البحر الصغير
جبل الشارات
جبل البرت
البشكنش
الجزائر الشرقية

ورغم سيادة المسلمين على جميع أنحاء الجزيرة تقريبا فى مطلع القرن العاشر الميلادى إلا أن الانقسامات التى وقعت بين القبائل العربية المختلفة المشتركة فى الفتح ، فضلا عما وقع بين العرب والبربر ، مثلما كان الحال فى أسبانيا الإسلامية ، بسبب التنافس والعصبية القبلية ، حملت إبراهيم الثانى الأغلبى على القدوم بنفسه إلى صقلية لتهدئة الأحوال وتدعيم السيادة الإسلامية، ولكن موته الفجائى فى عام ٩٥٦م أدى إلى بعث الانقسامات وإثارة الأحقاد من جديد، وكان ذلك مدعاة للضعف العربى الإسلامى فى صقلية، وتلك هى الآفة الكامنة الدائمة التى أفقدت السيادة صفة الدوام والبقاء إلى أجل أطول فى جميع البلاد التى فتحوها . ومن نتائج هذه الآصرة المباشرة اضطرار مسلمى صقلية إلى قبول معاهدة من بيزنطة تنازلوا فيها عن مدينة تاورومنيوم ، ومع ذلك استعادها العرب فى عام ٩٦٥ م(١) .

وبعد سنتين من تاريخ استعادة العرب لمدينة تاورومنيوم، أبرمت هدنة دائمة بين الجانبين الإسلامى والبيزنطى ، وممثل الجانب الإسلامى وقتئذ كان الخليفة أبا تميم معد المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ — ٣٦٥ هـ / ٩٥٣ — ٩٧٤م) الذى خضعت له صقلية ، وممثل البيزنطيين الإمبرطور المعاصر نقفور (٩٦٣ — ٩٦٩ م)

---

(١) Brockel., p. 157

أما عن جزيرة قوصرة(١) Pentellaria . فهى تقع فى منتصف الطريق بين صقلية وساحل أفريقية الشمالى تقريباً . إذ تبعد عن صقلية بنحو ٦٠ ميلا وعن أفريقيا بنحو ٤٠ ميلا . وقد دعت الضرورة العسكرية المسلمين لفتحها لتأمين فتوحهم فى شمالى أفريقية ، وذكر ياقوت أنها فتحت فى أيام معاوية بن أبى سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦٠-٦٨٠م) والراجح أن أول من غزاها هو عبد الملك بن قطن الفهرى (٢) . خلال ولاية موسى بن نصير على أفريقية . وذلك عام ٨٨هـ/٧٠٧م. ثم غزاها حبيب(٣) بن أبى عبيدة الفهرى زمن ولاية عبيد الله بن الحبحاب لأفريقية والمغرب (١١٦ — ١٢٣ هـ / ٧٣٤ — ٧٤١م) وذلك حوالى عام ١١٨ هـ / ٧٣٦ م . على أن الاستيلاء النهائى عليها كان حوالى عام ١٣٠هـ / ٧٤٨م على يد عبد الرحمن بن حبيب الفهرى . حفيد عقبة بن نافع (٤) .

---

(١) كلمة قوصرة Cossyra اسم يونانى معناه السلة أو السفط أو الزنبيل ، ولفظة قوصرة فى اللغة العربية لها نفس هذا المعنى فيقال : القوصرة وعاء التمر ، وفى بيت لعلى بن أبى طالب :

أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة

وربما كان الاسم مشتقا من الفينيقية القديمة : قيصرة تصغير قصره ، والمعنى واحد : وأطلق الأسبان عليها كلمة بانيلاريا Pantellaria بهذا المعنى كذلك . وقد وصفها الجغرافيون العرب أمثال : ياقوت (ت ٦٥٦ هـ) ق . م. وابن سعيد الغرناطى (ت ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) وابى الفداء (ت ٧٣٢هـ) والعمرى (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م) وخلاصة ما ذكروه أنها خصيبة وبها آبار وأشجار زيتون وفيها معز برية متوحشة . ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون من الرياح . (حسنى عبد الوهاب : قوصرة مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية م ٢ عدد ٢ أكتوبر ١٩٤٩) ص ٥٥ — ٥٧

(٢) ولى عبد الملك بن قطن الفهرى الأندلس بعد ذلك مرتين إحداهما ١٢٤هـ / ٧٤٢م ومكثت نحو سنتين والأخرى سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠م لمدة سنة تقريبا (راجع البيان ج ٢ ص ٣٩ ، ٤٢ — ٤٦)

(٣) البيان ج ١ ص ٣٥١ — ٣٥٥

(٤) ولى عبد الرحمن بن حبيب الفهرى أفريقية عام ١٢٩ هـ / ٧٤٨ م ، وكان مغتصبا للولاية وظل بها خلال حوادث القضاء على الدولة الأموية بالمشرق وقيام الخلافة العباسية ، وقتل زمن أبى جعفر المنصور على يد أخيه إلياس بن حبيب (البيان ج ١ ص ٦٥ — ٧٨)

وقد اتخذ الأغالبة جزيرة قوصرة قاعدة لغزو صقلية . وأقاموا بها مركز الحمام الرسائل (١) وعنى بها المسلمون عناية كبرى. فنقلوا إليها كثيراً من نصارى صقلية ، كما هجروا إليها عدداً كبيراً من فلاحى تونس من عرب وأفارقه ، فامتزج الجميع بالعادات الإسلامية واللغة العربية . وكان القطن من أهم منتجاتها . ولا يزال إلى اليوم بها أسماء عربية (٢) وامتدت السيادة العربية الإسلامية على قوصرة إلى عام ٤٨٤هـ / ١٠٩١ م(٣) .

وهناك جزائر أخرى قرب قوصرة . وصلت إليها السيادة الإسلامية. منها جزيرة لانبدوشة Lanpédusa وجزيرة نموشة Linosa ، وتقعان شرق تونس . والراجح أنهما خضعتا للسيادة الإسلامية خلال عمليات الفتح لجزيرة صقلية . فقد ورد فى حوادث عام ١٩٧ هـ/٨١٢ م أن المسلمين غزوا بعض الجزر التابعة لصقلية . وأنهم حطموا أسطولا بيزنطياً قرب جزيرة لنبدوشة(٤) وقد وصفهما البكرى والإدريسى . وخلاصة وصفهما أنه بينما يوجد مرسى أمين فى جزيرة لنبدوشة . لا يوجد مثل هذا المرسى فى نموشة . وهما عامة قليلتا الزرع والحيوان(٥)

* * *

(١) حسنى عبد الوهاب ص ٥٩ ، أرشيبالد ص ٢١ ، ٤٢٨

(٢) حسنى عبد الوهاب ص ٦٠ ، مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض ص ١١٣

(٣) انظر مايلى :

(٤) C. Med. H., Vol. IV, p. 134 ، راجع ما سبق عن صقلية

(٥) حسنى عبد الوهاب ص ٦٦ — ٦٧

وعن جزيرة مالطة ولواحقها . فهذه تعرف بالأرخبيل المالطى . نظرا لأنها أهم جزائر هذا الأرخبيل ، ولواحقها هى جزيرة جوتزو Gozo وكمونه Comino وكومينوتو Cominotto وفلفلة Filfola .(١)

وتتميز مالطة ولواحقها بحسن الموقع ، حتى اعتبرت مفتاح حوض البحر الأبيض الشرقى فى العصور الوسطى ، وكذلك فى العصور الحديثة ، واسمها يونانى ميليته Miletus ، واشتهر هذا الاسم حوالى ٨٢٨ ق . م ، بصناعة النحل ، فعرفها المسلمون إلى مالطة . والمعروف عن تاريخها السابق للفتح الإسلامى ، أنها خضعت للفينقيين فى القرن السابع قبل الميلاد ، ثم الرومان عام ٢١٨ ق . م ، وظل الرومان بها نحو عشرة قرون ، اعتنقت خلالها مالطة المسيحية خلال القرن الأول الميلادى ، على يد القديس بولص ، ثم خضعت للوندال والقوط الغربية ، واستردها جستنيان ، فصارت جزءا من الإمبراطورية البيزنطية (٢)

والراجح أن مالطة سقطت فى يد المسلمين قبل عام ٨٠٠ م ، كما يقول غويا Goeja إلا أن السيادة الإسلامية لم تثبت وتكرر غزوها .

ويبدو أن أول غزو إسلامى لها فيما ذكره ابن الأثير ، كان فى سنة ٢٢١ هـ ٨٣٧ م ، فقد ذكر فى حوادث هذه السنة بصدد حديثه عن فتوح زيادة الله الأغلبى ، وفيها — أى فى سنة ٢٢١ هـ — جهز أسطولا ،

---

(١) Rossi, E., Malta (Ercycl. of Islam (Vol. III, pp. 213

(٢) أرسلان : غزوات العرب ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، ٢٨٨

Scott. II, p. 76 ، تحفة الألباب ص ١٠٥

فسار نحو الجزائر ، فغنموا غنائم عظيمة ، وفتحوا مدنا ومعاقل وعادوا سالمين ، (١) ويرجح أن هذه الجزائر هى الأرخبيل المالطى ، وربما لم تكن غزوة زيادة الله الأغلبي هذه هى الغزوة الإسلامية الأولى للأرخبيل المالطى ، فقد تكون هناك غزوات سابقة ، وأن المسلمين فتحوا الجزيرة أو بعضا منها ، إلا أن السيادة الإسلامية لم تثبت عليها ، فتكررت الغزوات مثل غزوة عام ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م ، وجاء الاستيلاء النهائى عليها فى عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م (٢) زمن أبى عبد الله محمد الأغلبي الملقب بأبى الغرانيق (٢٥٠ — ٢٦١ هـ / ٨٦٤ — ٨٧٤ م) (٣)

ولذلك جاء استيلاء الأغالبة على مالطة ولواحقها ، مكملا لحصارهم صقلية ، فضلا عن ربطها بالأملاك الإسلامية ، فقد أضحت جميع الجزر فى تلك المنطقة الوسطى من حوض البحر الأبيض فى أيدى المسلمين ، ومن ثم تأكدت سيطرة المسلمين على المضايق الواقعة بين صقلية وأفريقية (٤) وكان مقام المسلمين بمالطة أطول من مقامهم بجزيرة صقلية، حتى أن أصول

---

(١) تاريخ الكامل ج ٦ ص ١٢٥ ، أرشيبالد لويس ص ٢٠٧ ، مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض ص ١١٣ ، أرسلان : غزوات العرب ص ٢٨٥ ،
C. Med. H., IV, p. 139

(٢) C. Med. H., IV, p. 139

(٣) لقب بأبى الغرانيق ، لأنه كان مولعا بالصيد ، ويقال إنه بنى قصرا لصيد الغرانيق وهى طيور مائية سوداء وقيل بيضاء ـ مفردها غرنوق ، أنفق فيه ثلاثين ألف دينار (ابن الأثير ج ٦ ص ١٩٢ أرسلان ، ص ٢٨٩ ، القاموس المحيط)

(٤) أرشيبالد ص ٢٠٧ .

لغة مالطة هى العربية (١) ، فقـــد ظلت مالطة خاضعة للسيادة الإسلامية نحـو ٢٢٠ سنة ، وتعتمد على صقلية ، وعومل أهلها بالتسامح واللين ، وفرضت عليهم ضرائب معتدلة (٢)

ومن حيث جزائر حوض البحر الأبيض الغربى ، فأولها جزائر البليار ، وتعرف كذلك باسم الجزائر الشرقية ، لوقوعها شرق الأندلس . وأهم جزرها ميورقة أو مايرقه Majiorca ومينورقة أو منرقة Mlniorca ويابسه Gvisa(٣) ونظرا لقرب هذه الجزائر من أسبانيا، فقد ارتبط تاريخها بالتاريخ الأسبانى منذ أقدم العصور ، ومن ثم تعرضت للغزوات التى شهدتها سواحل البحر الأبيض وبلاده، ووقعت معها تحت نير الاستعمار الإغريقى ثم الفنيقى ثم الرومانى والبيزنطى(٤)، وتشتهر هذه الجزر بجمالها وخصوبتها(٥)

وأول غزو إسلامى لهذه الجزائر ، كان زمن حوادث الفتح الإسلامى لأسبانيا ، فقد أرسل موسى بن نصير والى أفريقية والمغرب ، قوة بحرية

---

(١) أرسلان ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ (عن الواسطة فى معرفة أحوال مالطة للرحالة المسلم أحمد فارس الشدياق ، وعن دائرة المعارف الإسلامية) انظر مايلى .

(٢) Scott, II , p. 76

(٣) انظر الروض المعطار ص ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٨ ؛ تقويم البلدان ص ١٩٠ ، صبح الأعشى ج ٥ ص٢٠٦ (ذكرها باسم بياسة)

(٤) كليليا (Clelia Saranelli Cerqua) مجاهد العامرى ص ١٨٦

(٥) تغنى الشاعر ابن اللبانة بجمال مدينة بجزيرة ميورقة ، بها ساقية تعمل باستمرار فقال :

بلدا أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاوس
فكأنما الأنهار فيه مدامة وكأن ساحات الديار كؤس

(نفح الطيب ج ١ ص ٨٠)

بقيادة ابنه عبد الله ، فغزا جزيرة ميورقة ، وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما (١) ، وتكرر غزوها بعد ذلك ، منها الغزوة التي وجهها إليها الحكم بن هشام الأموى بالأندلس سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م ، فاستعان أهل الجزر بشارلمان ، ونجحت معونة شارلمان فى إبعاد المسلمين عنها لفترة طويلة ، لكن ليس من المحقق ، هل خضعت جزر البليار لسيادة شارلمان أم لا؟ وهناك من يقول : إنه بعد وفاة الإمبراطور شارلمان الفرنجى عام ٨١٤ م انتخب برنارد حفيده ملكا على ميورقة ، وبرنارد هذا ابن بيبين بن شارلمان وكان بيبين ملكا على إيطاليا وتوفى ٨١٠(٢) .

وفى زمن الحكم بن هشام كذلك ، قامت حملة إلى جزر البليار عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥ م (٣) ، وكان أهل ميورقة مرتبطين بعهد مع المسلمين ، لكنهم خرجوا على العهد وثاروا فى ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م ، فأرسل الخليفة عبد الرحمن الثانى بن الحكم (٢٠٦ — ٢٣٨ هـ / ٨٢١ — ٨٥٢ م) ، أسطولا مكونا من ثلثمائة مركب ، نجح فى إخماد الفتنة ، يقول ابن عـــذارى : «وفى سنة ٢٣٤ ، أمر الأمير بتوجيه العساكر إلى أهـل جزيرة ميورقة لنكايتهم وإذلالهم ومجاهدتهم لنقضهم العهد وإضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين ، فغزتهم ثلاثمائة مركب ، فصنع الله للمسلمين جميلا وأظفرهم بهم وفتحوا أكثر جزائرهم(٤) » . وتدل هذه الغزوة على وجود نوع من السيطرة ، فضلا عن العهد المكتتب لأهل الجزيرة .

---

(١) ابن الأثير جـ ٤ ص ٢٢١

(٢) كليليا ص ١٨٧

(٣) مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض ص ١١٦ ، كليليا ص ١٨٦ — ١٨٧

(٤) البيان جـ٢ ص ١٣٢ . انظر ابن الخطيب ص ١٨

وربما كان الفتح الحقيقى لهذه الجزر فى سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ، فقد أرسل الخليفة الأموى عبد الله بن محمد (٢٧٥ — ٣٠٠هـ / ٨٨٨—٩١٢م) أسطولا بقيادة عصام الخولانى ، وقد عينه حاكما على الجزر ، فنجح عصام فى فتح ميورقة ومنورقة ، أما يابسه ، فظلت بين حاكمها جويزا Juiyza ، وحكم عصام هذه الجزر باسم بنى أمية حتى وفاته ، وخلفه ابنه(١) . ومنذ ذلك الوقت ، تعاقب على حكمها ، ولاة من المسلمين ، وظلت خاضعة للسيادة الإسلامية حتى سقوط خلافة قرطبة فى عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م .

وحدث أن اضطربت بلاد الأندلس عقب سقوط الخلافة وقيام ما عرف باسم عصر ملوك الطوائف (٤٢٢ — ٤٨٤ هـ/١٠٣١ — ١٠٩١م) فاستقل كل بما أمكنته يده ، وأصبح لكل مدينة أومقاطعة أمير مستقل وبلغ هؤلاء الأمراء فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ، نحو عشرين أسرة مستقلة فى عشرين مدينة أو مقاطعة ، وهؤلاءهم ملوك الطوائف(٢)، وكان حكمهم فترة انتقال بين عهد الخلافة الأموية وبين قيام دولة المرابطين ودخولها أسبانيا(٣) .

استقل بنو عامر بشرق الأندلس(٤) ،وسنحت الفرصة لمجاهد العامرى

---

(١) مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض ص١١٦ ، كليليا ص ١٨٧ — ١٨٨

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٥٨ ، العبادى ص ١٧٠—١٧١ ، كليليا ص ٥٢ — ٥٥

(٣) كليليا ص ٣٥ — ٥١

(٤) بنو عامر هم سلالة محمد بن أبى عامر الذى ظهر فى بلاط الحكم المستنصر الأموى (٣٥٠—٣٧٦هـ/ ٩٦١ — ٩٨٦ م) الذى انصرف إلى شئون العلم والأدب عن شئون الدولة ، وساعدته صبح زوجة الحكم حتى ولاه قضاة بعض البلاد فبرزت مواهبه وعبقريته،وساعده على =

لغزو جزائر البليار . وأبو الحسين مجاهد بن عبد الله العامرى صقلبي(١)

ـ الظهور موت الحكم وتولية ابن هشام وهو صبي لم يتجاوز التاسعة من عمره (٣٦٦ـ ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ ـ ١٠٠٩م) . ووطد علاقته بالمصحفى كبير الوزراء حتى أخرج الصقالبة الذين كانوا بالقصر، وكانوا نحو من ثمانمائة، فخلا له الجو ، وظل يدبر المؤامرات ضد المصحفى، صاحب الفضل عليه ونجح فى إبعاده ونفيه سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٨ م ، وأصبح هو المدبر الفعلى لشئون الخلافة الأموية، إذ سار الحاجب بالشام المؤيد . واستخدم ابن أبى عامر الصقالبة واصطنع فريقا لنصرته، فكون له منهم قوة ، واشتهر فى السياسة والحرب والعلم والآدب .
(انظر : ابن عذارى جـ ٢ ص ٣٧٣ — ٣٧٦ ، مفاخر البربر ص ١٣ ، ابن الخطيب ص ١٩٣ ـــ ١٩٥ ، نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٥ وما بعدها ، كليليا ص ١٦ ـــ ٣٢) .

(١) تعنى كلمة صقلبي وصقالبة ، عند الجغرافيين العرب فى العصور الوسطى ، مجموعة من الناس من أجناس مختلفة ، كانت تعيش على حدود الخزر ، أى بين منطقة القوقاز والحوض الأدنى لنهر القلجا ، وأطلق هذا الاسم على أسرى الجرمان من هذه الشعوب ممن استرقهم العرب فى الأندلس ، وتطور هذا المصطلح فى أسبانيا حتى صار يطلق على هؤلاء العبيد الآوربيين الذين شغلوا بعض المناصب فى بلاط قرطبة ، ومنهم الحرس الخاص بالخلفاء الأمويين، منهم من الجليقيين ، السويف ، ومن الفرنج واللمبارد . وأغلبهم ينتمى إلى سكان ثغور أوربا المطلة على البحر الأبيض ، وجاءوا عن طريق الشراء أو الأسر فى الحروب ، واشتهرت مدينة فردان Verdun بفرنسا بوجود تجار من اليهود الخبيرين بعملية الخصى لهؤلاء العبيد ، ومن فردان كان الخصيان يرسلون إلى الأندلس ، وانتشرت عملية الخصى كذلك فى مدينة اليسانه Lucena بالأندلس على بعد ٤٠ ميلا من قرطبة ، وأغلب سكانها من اليهود وكذلك مناطق الثغور المتصلة بفرنسا. يقول المقرى (وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك ، فصاروا يخصون ويستحلون المثلة) . وتعلم هؤلاء الصقالبة سواء أكانوا فحولا أم خصيانا ، لغة سادتهم وأخذوا دينهم وعاداتهم ، وتفتحت عقولهم فى الأندلس حيث الحضارة المزدهرة على عكس الظلام الدامس الذى كان يخيم على شعوب أوربا فى العصور الوسطى ، فنهلوا من هذه الحضارة حتى صاروا مصدر خطر على سادتهم .

والأصل اللغوى لهذه الكلمة كما فى اللغة الصقلبية القديمة سلافينينو Slaveninu وتدل على سكان هذه البلاد من حيث الوطن ، واستعملها اليونان مرادفة للعبد Sklavos ، وصارت فى اللاتينية Sclavus نقلا عن اليونان ،وفى الفرنسية Esclave وفى الألمانية Sklave وفى الانجليزية Slave ، وذلك حوالى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر ، وعرفها العرب منذ اشتبكوا فى حروب مع بيزنطة حوالى القرن السابع الميلادى ، إذ كان بعض الصقالبة يحاربون كجنود مرتزقة فى الجيش البيزنطى .

(انظر كليليا ص ٢ ـ ١٥ وما بها من مراجع ؛ ابن حوقل : الملك والممالك ص١٣ـ ١٤ ياقوت معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٧٢ . نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٠ Dozy, II, P. 154

مسيحى فى الأصل ، ويقترن اسمه كذلك بالرومى(١) ، استرقه المنصور بن أبى عامر فى بلاط قرطبة، واشتهر مجاهد بالشجاعة والمغامرة وسعة الثقافة فى العلوم الدينية والأدبية ، وبفضل مواهبه ، ارتفع مجاهد من طبقة الرقيق إلى مرتبة ملك خطر يسيطر على دانيه Denia بشرق الأندلس؛ واستقل بدانيه حوالى عام ٤١٣ هـ ، وولى أمر دانيه من قبل هشام الثانى ، ويقول صاحب البيان إن الذى ولاه دانيه هو المنصور بن أبى عامر حتى صار أسطورة عجيبة فى تاريخ العلاقات الإسلامية الإيطالية فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) : كانت دانيه عاصمته ، مركز النشاط الثقافى والحربى ، وغدت نقطة وثوب على جزر البليار وسردانية ، بل صارت دانيه قاعدة بحرية لأسطول قوى شجعه على القيام بمغامرات حربية بحرية وقد أفردت له المراجع اللاتينية والغربية فصولا مطولة ، إذ كانت أعماله ومغامراته تعد من الأساطير ، وكان مجرد ذكر اسمه ، يلقى الرعب فى قلوب المسيحيين ، ويعرف فى الكتب الأجنبية باسم: Mujet أو Musectus(١)

قام مجاهد العامرى فى عام ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ — ١٠١٥ م ، وفتح جزر البليار الثلاث الرئيسية ، وأعلن استقلاله بها فى عام ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، وعين فى ذلك العام ، عبد الله بن أخيه ، واليا على هذه الجزر ، فأمضى فى حكمها خمسة عشر عاما حتى توفى ، وخلفه فى حكومة البليار الأغلب مولى مجاهد ، وذلك سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ — ١٠٣٧ م ، وفى خلال حكم الأغلب

---

(١) ابن خلدون جـ ٤ ص ١٦٤ ؛ صبحى الأعشى جـ ٥ ص ٢٥٦ — ٢٥٧ ؛ الروض المعطار ص ٧٦ ؛ ابن الخطيب ص ٢١٧ — ٢٩١ ؛ معجم الآدباء جـ ١٧ ص ٨٠ ، كليليا ص ٢١١ — ٢١٤ ؛ أرسلان غزوات العرب ص ٢٠٢ — ٢٠٤ ، مؤنس ص ١١٦ .

مات مجاهد سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ ، وخلفه ابنه على الملقب بأقبال الدولة(١)

* * *

أما جزيرة سردينية ، فهى ثانية جزر البحر الأبيض حجما ، بعد صقلية(٢) ، ونظرا لعدم تعرج سواحلها ، فإن موانيها قليلة ، ومن ثم قلت صلاحيتها للملاحة البحرية ، ويوجد بشواطئها كثير من المستنقعات ، مما حمل سكانها على الانحياز إلى المرتفعات الداخلية ، على أن شواطئها الغربية والجنوبية صالحة للملاحة ، مما جعلها هدفا للمسلمين من ناحية الجنوب ومن ناحية الأندلس(٣) .

احتلها الرومان واتخذوها منفى ، ومن بعدهم احتلها الوندال عام ٤٧٦م ثم البيزنطيون عندما استردجستنيان بعض الجزر التى كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية(٤) ، وظلت جزيرة سردينية بيد بيزنطة حتى القرن العاشر ، واعتبرت فى التنظيم الإدارى البيزنطى تابعة لبند صقلية Theme of Sicly(٥)

تعرضت هذه الجزيرة للغزو الإسلامى ، كغيرها من جزر البحر الأبيض ، وأول غزو إسلامى لها كان عام ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، يقول ابن الأثير : « ولما فتح موسى بلاد الأندلس ، سير طائفة من عسكره فى البحر إلى هذه الجزيرة

---

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ١٦٤ ؛ كليليا ص ١٧٥ ، ١٨٧ — ١٨٩ ، ٢٥٣ وما بعدها ، ابن الخطيب ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ؛ ٢٧٥ ـ ٢٧٦

(٢) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٢

(٣) كليليا ص ١٩٣ . تحفة الألباب ص ١٠٤ ـ ١٠٥

(٤) انظر شمال أفريقية والوندال (للمؤلف)

(٥) Deanesly, P. 375

سنة اثنتين وتسعين ، فدخلوها ، وغنموا وغنم المسلمون فيها ما لايحد ولا يوصف . وفى عودتهم ، غرقوا بما غنموا(١) ، وتكرر الغزو بعد ذلك فى عام ٩٨ هـ / ٧١٦ م ، ١١٧ هـ / ٧٣٥ م ، ١١٨ هـ / ٧٣٦ م ، وفى سنة ١٣٥هـ / ٧٥٢ م ، غزا عبد الرحمن بن حبيب الفهرى سردانية وصالح أهلها على الجزية(٢) .

وخلال الفترة ما بين ١٨٥هـ/٨٠١م و ٢١٦هـ/٨٣١م ، توالت الغزوات على الجزيرة من ناحيتى أفريقية والأندلس . ولكنها كانت غزوات سريعة خاطفة ، ليست لها صفة الدوام ، وكان لتفرق كلمة المسلمين بين أموى الأندلس وأدارسة المغرب وأغالبة تونس أثره فى عدم اتخاذ موقف موحد قوى ، وتم الفتح الجزئى لهذه الجزيرة عام ٢٢٧ هـ/ ٨٤٩ م زمن الخليفة الأموى عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) ، واتخذ المسلمون من فتوحهم فى سردانية نقطة انطلاق لمهاجمة روما ، فضلا عن أهمية الحصول منها ومن غيرها على العبيد والخشب لصنع سفنهم(٣) .

وفى سنة ٣٢٣ هـ/ ٩٣٥ م ، قامت الغزوة المشهورة من المهدية بشمالى أفريقية ، إذ أبحر أسطول إسلامى بقيادة يعقوب بن إسحاق . وكان مكونا من ثلاثين سفينة حربية وهاجم كلا من سردانية وجنوا وعاد محملا بالغنائم(٤) . وبرز خلال هذه المعارك الحربية البحرية أحد الجنود المسلمين

---

(١) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣

(٢) البيان ج٢ ص ٧٣ . ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٣ C. Med. H., Vol. IV, 134

(٣) Deanesly. p. 375 . انظر مايلى

(٤) ابن الأثير ج ٤ ص٢٣٣ . كابليا ص ١٩٥

الذين أسهموا بشجاعة فى غزو سردانية ، حتى لقب بابن السردانى ، وهو أبو جعفر أحمد ، ويقال له حمودة بن إبراهيم أو ابن سعدون المتعبد (ت ٣٢٢هـ أو ٣٥٤هـ)(١) .

وربما كان أصلح تعبير للغزوات الإسلامية التى تعرضت لها جزيرة سردانية أنها كانت أقرب للموجات منها إلى الفتح والاستقرار . إذ كانت تنكسر على شواطىء الجزيرة دون أن يتمكن المسلمون من تثبيت أقدامهم فيها . بسبب عدم ملائمة المناخ وشدة كفاح أهل الجزيرة ، وكثرة الأمواج على شواطئها ، ومن أجل ذلك لم تتأثر سردانية كغيرها من البلاد التى وطئها المسلمون ، من حيث الثقافة أو الدين أو الفن أو التجارة (٢).

أدت هذه العمليات الحربية المستمرة إلى قطع العلاقات بين بيزنطة وجزيرة سردانية ، وتقاعدت بيزنطة عن نصرتها ، فاعتمد السرديتيون على أنفسهم ، وأمدهم الفرنجة أحياناً بالمساعدات كما ساعدتهم جمهوريات إيطاليا البحرية مثل جنوه وبيزا . كذلك أدى الغزو الإسلامى إلى تقوية الصلات بين البابا والمدن الإيطالية . ومن ثم انبرت البابوية لتنظيم حركة المقاومة ضد الخطر الإسلامى ، بل أدى تدخل بيزا إلى تسلل نفوذها فى سردانية . مما أدى بالتالى إلى صراع حربى بين بيزا ومنافستها جنوا (٣) .

والفتح الإسلامى الحقيقى لجزيرة سردانية ، تم فى مطلع القرن الحادى

---

(١) كابليا ص ١٩٥

(٢) كابليا ص ١٩٩

(٣) كابليا ص ١٩٦ . Deanesly. P. 375

عشر الميلادى . على يد مجاهد الدانى . فقد حدث بعد أن انتهى من فتح جزر البليار فى رمضان ٤٠٥هـ/مارس ١٠١٥م . توجه إلى سردانية فى ربيع أول ٤٠٦هـ / أغسطس وسبتمبر ١٠١٥م . على رأس ١٢٠ سفينة حربية . ومعه ألف جواد . وكان مشروعه للفتح والإقامة لا لمجرد الغزو . على أن يتخذ من سردانية نقطة وثوب على غيرها فضلا عن هدفه البعيد وهو جعل البحر الأبيض بحراً إسلامياً (١) .

والراجح أن مجاهداً نزل بالقرب من مدينة كالياري Cagliari . وكانت المعركة رهيبة . قتل فيها الكثير وأسر الكثير ولاسيما من جانب المسيحيين ومن بين القتلى شخص يسمى مالوت . قيل إنه قائد السردنيين (٢) . وعلى الرغم من دفاع أهل الجزيرة . إلا أن مجاهداً استطاع أن يحتل جزءاً كبيراً من الجزيرة وأن ينفذ إلى المناطق الجبلية وأن يحتل عدداً من المعاقل السردينية (٣) . يقول ابن الخطيب :

وغزا رحمه الله إلى سردانية . جزيرة الروم . وهى عظيمة . مسيرتها ثمانية أيام . وفيها ملوك أربعة من قبل صاحب الأرض الكبيرة ـ أى فرنسا اقتحمها فى مائة وعشرين مركباً . حمل فيها ألف فارس . ففتح أرضاً جليلة . وضرب على بعض ملوكها جزية . وتجاوز حده (٤) .

بدأ مجاهد عملية إقامة المزيد من الحصون . واختط مدينة واسعة وشرع

---

(١) كليليا ص ١٩٦ ـ ١٩٧ . ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٣

(٢) كليليا ص ١٩٧ ـ ١٩٨ (عن أمارى Amari)

(٣) كليليا ص ١٩٨ .

(٤) أعمال الأعلام ص ٢١٩

فى بنائها وانتقل إليها بأهله وولده . بعد أن غنم وسبى مالا يأخذه الحصر . إلى أن كسد فى زمانه السبى وخست فيه الأثمان» (١) .

ولقد بالغ الأعداء فى تصوير سوء معاملته لأهل سردانية . غير أن سوء هذه المعاملة ترجع إلى ضعف مركزه فى الجزيرة وهزيمته أمام بيزا وجنوه ، يقول ابن الخطيب : «وكان شديد الوطأة على رعيته ، سام أهل الجزائر الخسف ، فسطا بوجوههم ورؤسائهم ، وألزم قلوبهم الرهب ، لما خافهم على دولته ... حتى لقد حظر عليهم رماكهم السامية ، وكانت عمدة أموالهم ، فكتبها منعوتة ، فلا تكاد الرمكة تنتج مهراً ، حتى يكتب على ربه بنعته ، ويلزمه بتربيته ، والقيام عليه ، إلى أن يصلح للرياضة ، فيقبض منه ذلك ، ويعطى عنه خمسة دنانير دراهم ، لا يزاد عليها فى وقت. ولا يبرأ منه إن نفق إلا ببراءة من ثقته ، ولقد قطع أذن رجل لقطعه أذن مهر طلب التشويه بخلقه» (٢) .

غير أن أعداء مجاهد أفرطوا فى المبالغة ، ولا سيما الشاعر الإيطالى فيرنيزى Vernese ، الذى قال إن مجاهداً كان يأمر بأن يبنى بأجسام الثوار أحياء ، بدلا من الحجارة . ويجلدهم ويصلبهم ويدعهم للكلاب الشرسة(٣) ولم يكن هدف هذه المبالغة فى التصوير خافياً . فإن أمثال هؤلاء الأعداء

---

(١) أعمال الأعلام ص ٢١٩

(٢) أعمال الأعلام ص ٢١٨

(٣) كابليا ص ٢٠٣ (أوردت كابليا بعض فقرات من الشعر الذى قاله فيرنيزى فى هذا الصدد)

كانوا يعملون على إشعال نار الكراهية فى قلوب المسيحيين . وإثارة حماستهم للدفاع ضد مجاهد . وقد امتد حكم مجاهد فى سردينيا إلى عام ١٠١٦ م (١) .

* * *

ويلاحظ أن الغزوات التى شنها المسلمون على جزر البليار وسردانية قد اقترنت بغزو جزيرة قورسيقة (٢) . والراجح أن جزيرة قورسيقة خضعت للسيادة الإسلامية قبل عام ١٩١هـ/٨٠٦م . واتخذت هى وسردانيا قاعدة للعمليات البحرية . لغزو شواطىء إيطاليا . وكان المسلمون يأملون أن تظل قورسيقة بصفة خاصة قاعدة دائمة لهم .

جمع شارلمان إمبراطور الإمبراطورية الغربيه وملك الفرنجة أسطولا من الموانى الإيطالية لطرد المسلمين من قورسيقة. وكان ذلك فى عام ٨٠٦م وفى المعركة البحرية قتل قائد الأسطول الفرنجى هادومر Hadumar وهو كونت جنوه . فاضطر شارلمان إلى إعداد أسطول آخر بقيادة برخارت Burchard . وظفر هذا الأسطول بإحراز نصر على المسلمين . وفى عام ٨٠٨ م تدخل البابا ليو الثالث . وطلب من شارلمان ألا يغفل عن مهاجمة قورسيقة ، لأن المسلمين بها لا يكفون عن غزو الشواطئ الإيطالية

---

(١) كليليا ص ٢٠٢ . مؤنس ص ١١٦ . انظر ما يلى

(٢) Deanesly, P. 375

(٣) Deanesly, P. 375. Scott Vol. II. d. 75

وعلى أن السيادة الإسلامية على هذه الجزيرة ، لم تكن ثابتة أو مستقرة بدليل كثرة تكرار الغزو لها من الجانب الإسلامى والجانب المسيحى . ففى عام ٨١٣ م توجه أسطول إسلامى إليها ، جاء من أسبانيا . وغنم من قورسيقة مغانم كثيرة ، منها خمسمائة أسير . إلا أن الأسطول الفرنجى ، التقى بالأسطول الإسلامى العائد من قورسيقة . عند جزيرة ميورقة . وأجبره على تسليم مغانمه وأسراه . فلم يكن من الأسطول الإسلامى إلا أن توجه إلى مدينة كيفيتا فكيا Civita Viccia على الساحل الإيطالى شمالى روما لتعويض مافقده(١) .

ثم انتقلت السيادة الإسلامية على قورسيقة وسردانية للفاطميين عام ١٠٠٣ م (٢) . وعندما غزا مجاهد العامرى سردانية عام ١٠١٥ م توجه إلى غزو مدينة لونى Luni الإيطالية وكان عليه أن يمر بجزيرة قورسيقة ويحتمل أنه احتلها أو احتل بعض أجزاء منها . ويرى المؤرخ ماس لاترى Mas Latrie أنه طالما كان العرب مسيطرين على بوغاز بونيفاشيو Bonifecio الفاصل بين سردانية وقورسيقة ، فلابد وأنهم احتلوا قورسيقة أو على الأقل الأجزاء الساحلية منها لكى يؤمنوا هذا الممر ، وكذلك لتأمين شواطىء سردانية(٤) .

---

(١) كابليا ص ١٩٨

(٢) كابليا ص ١١٣

(٣) كابليا ص ١٩٨

(٤) كابليا ص ١٩٨ — ١٩٩